حسبا للكلب الذي يحرس القطيع كلّ حساب علمًا منهما بشدة سهره وقوة دفاعه ودقة شمّه فيحاولان خداعهُ بالطريقة الآتية وهي انهما يدنوان من القطيع مسترقين الخطى ثم يظهر احدهما امام الكلب ويخبئ الآخر منهُ فيهجم الكلب على الذئب الذي يراهُ فيهرب هذا امامهُ والكلب في اثره فيغتنم الذئب الآخر الفرصة ويهجم على القطيع فيخطف منهُ شاة ويفرّ الى حيث يقتسمها هو وشريكهُ

ومن الطير ما يعيش على صيد غيره فاذا رأى طائرًا صاد شيئًا جدّ وراءهُ حتى يدركهُ فيوسعهُ نقرًا بمنقاره او يترك صيدهُ فيتلقفهُ اذ ذاك غانمًا ويعود الآخر خاسرًا

وزبدة القول ان هذا الكون اشبه بميدان يصول فيهِ الاحياء ويجولون ويتجالدون ويتطاعنون ويتسابقون تسابق خيل الطراد فلا يسبق الاَّ الجواد ولا يسلم الاَّ البطل او شديد الحيلة كثير الدهاء

المعالجة الحديثة (١)

ما زال الطب يجري مع الايام في مقدمة العلوم حتى وصل الى حالتهِ الحاضرة وقد اصبح مطلب العلماء وملجأ اليائسين وهو الآن كما كان قبل سريع السير كثير التقلب بعيد المرمى شريف الغاية يتناول من الحقائق جوهرها ويبني عليهِ اعمالهُ العجيبة فهو صناعة دقيقة لا يمكن النجاح فيها الاَّ بعد عناء طويل ودرس كثير وعمل دائم وحسبنا شاهدًا على ما نقدم بذل العلماء نفوسهم في خدمتهِ. ومعلوم ان الطب في استخدامهِ الطبيعة لشفاء المرضى لا يستخدم بعض انواع المواد فقط بل كل ما يصل اليهِ فهو يستخلص الدواء اللازم من المعدن والنبات والحيوان والمصل والحرارة والنور والكهربائية واشعة رنتجن واشعة فنسن واشعة الراديوم وهلمَّ جرًّا الى ما لا نهاية لهُ. على انني لضيق المقام سأحصر بحثي في ثلاثة انواع من طرق المعالجة: وهي اولاً المعالجة بالمصل. وثانيًا المعالجة ببعض اعضاء الحيوان وثالثًا المعالجة بالاشعة المختلفة

اما المعالجة بالمصل فقد مهد لها السبيل الدكتور كوخ باكتشافهِ مكروب السل ففتح بابًا جديدًا للبحث اتجهت اليهِ الابصار ودخلهُ كثيرٌ من العلماء بآلاتهم المكبرة ليروا ما خفي عليهم منذ اجيال عديدة وهو ذلك المكروب الصغير الذي كان ولم يزل سبب اكثر الامراض فدرسوا عنهُ ما استطاعوا وعرفوا شيئًا مهمًّا عن ماهيتهِ وانواعهِ وكيفية تشوئهِ وتوليدهِ. واتضح لهم انهُ كلما دخل جسماً أوجد فيهِ سمًّا قتالاً واضطر الجسم ان يفرز من المواد اللازمة ما يضاد

(١) خطبة للدكتور توفيق بشارة كنعان احد المتمهين من القسم الطبي خطبها في احتفال كلية بيروت

ذلك السم وان افرز ما يكفي لمقاومته أمن شره ولا اهلكه [١] ولما تحققوا ذلك جعلوا يحقنون بعض الحيوانات كالخيل بكمية صغيرة من سموم احد المكروبات بحيث لا تضر بها لكي يتولد في الدم مادة تضادها ثم زادوا تلك السموم فازدادت المواد المضادة لها ولم ينفكوا يفعلون ذلك حتى وصل الى الدم من المواد المضادة ما جعل تلك الحيوانات غير قابلة السم مهما كانت قوة سم المكروب ثم اخذوا ذلك الدم المحتوي على هذه المواد وهو ما ندعوه الآن مصلاً وحقنوا به من اصيب بمرض سببهُ نفس المكروب الذي استخدم سمهُ لاستخراج المصل فخفّت وطأة المرض وكثيراً ما توقف سيرهُ بالكلية . واعظم شاهد على ذلك مصل الدفتيريا اكتشفهُ بارنك وكيتساتو ووجد اورنسن طريقة لتطهيره [٢] فقد قلل عدد الوفيات من ٦٠ الى ٢٦ في المئة [٣] ثم ان من الامراض ما استخرج مصلهُ ولكن لم يعم استعمالهُ لعدم تاكد فعله كداء الجمرة (ومكتشف مصله الدكتور إيفو بندي [٤]) والطاعون (اكتشفهُ يرسن وهفكن [٢]) وداء الكلب (پاستور) والحمى الصديدية [٣] والحمى العفنة [٢] والتتنوس (كتّاني وتيزوني) [٢] والتيفوئيد (ڤيدال وكرينبوم وشانتس [٣]) ولدغ الافاعي (كلمت) [٢] والسراجة (بوشكه وبونوم) [٣] والبرص (كرسكويلاً) [٣] والزهري (پوكسن وريسُّو وسيپولينا) [٥] وهلمَّ جرًّا . وقد نجح بومكرتن وهيكلر في حقن العجول بمصل السل وجعلها غير قابلة الاصابة به [٦]

اما المعالجة ببعض اعضاء الحيوان فقديمة العهد الاَّ انهُ لم يحفل بها حتى نشر برون سيكار نتيجة بحثهِ وبرهن للعالم ان اغلب الاعضاء ولا سيما الغدد تفرز الى الدم بواسطة الجهاز الليمفاوي مادة لا يستغني الجسم عنها وان فقدها تألم جدًّا وظهرت عليهِ اعراض مختلفة وقد يموت من جراء ذلك [٧] وكفى بذلك برهانًا على ان الحيوان اذا فقد الغدة الدرقية هُزِلَ وتوقف نموهُ واصابهُ بلهٌ وتغير تركيب اعضائهِ المختلفة وقد ظهرت كل هذه الاعراض على من لم يكن لهُ غدةٌ درقية او من استؤصلت منهُ بعملية جراحية . وكثير من الامراض والبله وسوء تركيب الاعضاء ناتجةٌ عن نقص في وظائف الغدة الدرقية او عن عدم وجودها . وقد قال الدكتور اوسلر [٨] لم تشاهد صناعة الطب تقدمًا مثل تقدمها في شفاء الامراض الناشئة عن اضطراب في وظائف الغدة الدرقية وانا نخلّص اولادًا قضي عليهم بالبله والموت ونرد

(١) راجع كتاب Hare's "Pract. Therapeut" وجه ٤١٢ (٢) راجع Martindale's & Westcott's Extra "Pharmacop." وجه ٤٦٩ – ٤٩٠ (٣) Hare's Pract. Therap." صفحة ٤٤١ (٤) راجع Lancet, Aug. 6, 1904 (٥) Lancet, Nov. 26, 1904.
(٦) "Berlin. Klinische Wochenschrift" No. 3, 1905.
(٧) "B. & W. Laborat. Researches" (٨) Osler's "Pract. of Medicine" p. 843

الى الحياة الذين كانوا فريسة هذا الداء . وذكر انهُ عالج ولدًا مصابًا بهذا الداء وابقاهُ تحت عنايتهِ مدة ١٨ اسبوعًا وفي نهايتها وجد مريضهُ قد نما ٣٠ سنتيمترًا وقوي جسمهُ وتقدمت قواهُ العقلية تقدمًا غريبًا (١) وقد ظهر حديثًا ان خلاصة الغدة الدرقية تنفع امراضًا كثيرة كداء قشر السمك والصدفة والسرطان وغيرها (٢) . قال احد الاطباء متهكمًا وقد ساءتهُ مبالغة البعض في مزية الغدة الدرقية : " لا يبعد بعد قليل ان نرى الجراحين يقطعون ارجل الناس وايديهم ثم يعطونهم خلاصة الغدة الدرقية فتنمو ثانية "

اما المعالجة بالاشعة فقديمة جدًّا لان اشعة الشمس رافقت الانسان منذ نشوئهِ واستخدمها لشفاء امراض كثيرة . وحديثًا ظهرت اشعة رنتجن فحارت فيها العقول وصوّبت نحوها الآمال لما امتازت بهِ من خرق الاجسام التي لم تقوَ اشعة الشمس على خرقها فاستطاع الجراح ان يرى في الجسد الاجسام الغريبة التي دخلت اليهِ ويزيلها من اماكنها بكل سهولة . وما عدا ذلك فلهذه الاشعة قوة غريبة في توقيف كثير من الامراض كالسرطان والدمامل وغيرها . ثم توصل فنسن الى اكتشاف اشعتهِ وهي عبارة عن تحليل اشعة الشمس الى عناصرها المختلفة بحيث يمكن الطبيب بواسطة آلة خصوصية ان يستعمل بعض العناصر فقط في معالجة بعض الامراض الجلدية . ومنذ عام اكتشفت اشعة الراديوم فرحب بها الانسان وجعلها منتهى امالهِ لما بان فيها من الصفات الغريبة . وقد امتحنت منفعة الراديوم باستعمال مادتهِ واشعتهِ ومحاولهِ (اول من استعمل الراديوم الدكتور ليبر في نيويورك) في امراض الجلد والدمامل والسرطان والورم اللحمي والذئب والخراجات وامتحنت في خرق الاجسام فوقف بالمرام الاَّ انها لا تفضل على اشعة رنتجن في ذلك وكثيرون من العلماء يعتقدون بمنفعتهِ الخصوصية في بعض الاحوال كالدكتور ميرون متسبوم والدكتور پيغارو والدكتور ليبر والدكتور ابولنت والدكتور اكسفر ولكن بعضهم يشكون في منفعتهِ او ينكرونها بالكلية كالدكتور ترنر والدكتور هرشل والدكتور مكس اينهورن والدكتور بلمر

على ان اغلب العلماء يذهبون الى ان فائدتهُ ستكون محدودة جدًّا لعدم وجود غير غرام او غرامين منهُ (الدكتور هوفمن — ميونخ)

---

(١) "B. & W. Lab. Reports." (٢) ومرض كريفس (Grave's or Parry's Disease) حاصل عن تضخم في الغدة الدرقية بحيث انها تبرز كتلة كبيرة جدًّا تسم الجسم وتسبب العوارض المشهورة في هذا المرض . وقد عالج حديثًا بارلت وتريل وبوركهرت وبلومنتال وكلس ومدسون هذا الداء بحليب ودم بعض حيوانات استوصلت منها الغدة الدرقية وبخبحرا . فان هذا الحليب والدم يحتويان على مادة تعرف باسم رودجان (Rodagen) وهذه تضاد فاعلية السمّ الزائد من افراز الغدة الدرقية